التحايا

ذكرى من فارقونا لتحيا أمتنا تحت شريعة ربنا

تفريغ المحاضرة الصوتية

إقتران العلم بالجهاد

للشيخ/ د.سامي العريدي

- الشرعي العام لجبهة النصرة -

التحايا للإعلام الجهادي
قسم التفريغ
1436 هـ 2015 م

تفريغ المحاضرة الصوتية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتران العلم بالجهاد

للشيخ/ د.سامي العريدي (حفظه الله)

مُؤسَّسَة التَّحَايَا
قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسـوله محمد وعلى الأنبيـاء والرسل أجمعين، ربِّ اشـرح لي صـدري ويسر لي أمـري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، وبعد:

لك الحمد ربنا أن أنعمت علينا بهـــذا المجلس في ســـاحة من ســـاحات الجهاد فهذه من أعظم النعم التي ينعم بها الله -تبارك وتعالى- على العبد أن يجمع له بين العلم والجهاد، فبالعلم والجهاد قوام الدين ونصرة الـدين، كما قال الله -تبارك وتعالى- في كتابه: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} فبالشـرع وبالجهـاد وبالكتـاب يقـوم الـدين، فهـذا المجلس هو من أعظم نعم الله -تبارك وتعالى- علينا في هـذه السـاحة بفضل الله -تبـارك وتعالى-.

وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: "قَوَام هذا الدين بكتـابٍ يهدي، وسيف ينصر"

الكتاب يهدي ويُصلح ويَقود ويَسود ويَحكم، ولكن كيف الطريق إلى الشرع المتضمن في الكتاب؟

الطريق إلى الشـرع الموجـود في الكتـاب هو بـالعلم، لا يوجد طريق إلى الكتــاب وإلى الشــرع إلا عن طريق العلم، والله أمر بــالطلب، والله أمر بالجهـاد، فكيف نتوصل إلى أحكـام الجهـاد؟ نتوصل إليها بـالعلم وبسـؤال أهل العلم، فالطريق إلى الكتـاب هو العلم الـذي به قـوام الـدين، فيصـبح من قـوام الـدين أيضًـا العلم المـؤدي إلى الكتـاب، قـوام الـدين بالحـديث ولكن هذا الحديث كيف يقوم؟ بالجهاد والقتال.

فالكتاب لا نتوصل إليه إلا عن طريق العلم.

- فالكتاب يهدي ويُصلح ويَسُوس ويَحكم ويَقود.

- الكتاب هو سبيل الهداية.

- والعلم هو الطريق الموصل إلى الشرع وإلى الكتاب.

- والجهاد هو الحارس الأمين والرادع العظيم لكل مُفسد ومجـرم تسـول له نفسه أن يعتدي على الدين وأهله، وهو المجيز لكل العقبات الـتي تقف في وجه الكتاب، فأصبح العلم والجهاد لا انفكاك بينهما حتى يقوم الدين.

لـــذلك من أروع ما كتب ابن القيم -رحمه الله- وهي عبـــارة تكتب بمـــاء الذهب، وهي عبارة تُحفظ، هي بمعنى كلام شـيخ الإسـلام ولكن هو تلميذ شيخ الإسلام، قال: "فـدين الإسـلام قـام بالكتـاب الهـادي، ونفَّذه السـيف الماضي"

دين الله قام بماذا؟ بالشرع "بالكتـاب الهـادي"، ولكن الـذي نفَّذه وحكَّمه ونشره وحماه ما هو؟ "السيف الماضي".

فنجد هذا الأمر أمرًا مسـتقرًا عند السـلف، "فـدين الإسـلام قـام بالكتـاب الهادي ونفذه السيف الماضي".

لذلك إخواني، لم يقترن العلم والجهـاد في زمن من الأزمـان إلا كـان العز والتمكين، انظـروا في تـاريخ الأمة ما اقــترن العلم والجهـاد إلا كـان العز والتمكين، ولم يفترقا إلا كان الذل والهوان، فهما قرينان لا يفترقان.

قد يقول قائل: ما الدليل على أن قـوام الـدين بالكتـاب الهـادي والسـيف الماضي؟

نقول: اسمع إلى نصوص الشرع

النص الأول: وهو في صحيح مسلم في حجة الوداع، قال النبي -ﷺ-: (وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله)

الاعتصام بكتاب الله، بشرع الله، وهو الأساس الأول للهداية.

الثاني: عند الحـاكم من حـديث أبي هريـرة، عن النـبي -ﷺ- قـال: (تـركتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهم، كتاب الله وسنتي)

هذا بالنسبة للكتاب.

طيب بالنسبة للجهاد؟ الأحاديث فيه كثيرة ونكتفي بحديث واحد، قال -ﷺ-: (ما ترك قوم الجهاد إلا عَّمهم الله بالعذاب).

فالآن إخواني، أي عذاب أي هوان اعلم أنه حدث خلل في الشرع -أي في تطبيق الشرع-، أو في القوة التي تحمي الشرع، أي خلل تجــده في الأمة أو في الساحة الجهادية أو في أي مكان اعلم أن هناك خللًا إما في تطبيق

الشرع، وإما في القوة التي تحمي الشرع، إما بإفراط أو تفريط؛ لـذلك لا بد حـتى نجتنب الفتن ونجتنب الضـلال ونجتنب الـذل والهـوان، لا بد من الكتاب مع القوة، لا بد من العلم مع القوة.

لذلك إخواني من هنا وجدنا العلماء الربانيين أهل علم وجهاد، لا تجد عالمًا ربانيًا بلا جهاد، ولن تجد خاصة في حال فرضية الجهاد عندما يكون الجهـاد فـــرض عين كما هو الآن، فـــانظر -رحمك الله- إلى كتب الســـيَر وكتب التاريخ فستجد من سيرة علمائنا من لدن الصحابة إلى اليوم أنهم جمعــوا بين العلم والجهاد إلا من عُـذر وخاصة في حـال تعين الجهـاد، فـانظر إلى غزوة تبوك ومن خرج فيها ومن لم يخـرج، وانظر إلى حـال من لم يخـرج كيف كـان التعامل معــه؟! ولم يتخلف عنها إلا أصـحاب الأعـذار من أهل الإيمـان، ومن ذَكر الله في كتابـه، وأهل النفـاق، أما أن تجد إنسـانًا مؤمنًا عالمًا ربانيًا ويتخلف بلا عذر عن الجهاد المتعين! فهذا لا يوجد ولن يوجد.

وانظر في حـــروب الـــردة في زمن أبي بكر وانظر إلى عـــدد العلمـــاء والحفظة الذين قتلوا فيهـا، أين كـان العلمـاء؟ في الصـفوف الأولى كـانوا يقودون الجهاد، وانظر إلى سيَر العلماء وإلى سـيَر المحـدثين خاصـة؛ لأن الآن أكثر ناس تجلس عن الجهاد وتثبط الناس عن الجهاد من ينتسب إلى الحـديث! انظر في سـير وتـاريخ أهل الحـديث من المحـدثين، انظر إلى سيرة ابن المبارك كان يذهب إلى الحج عامًا ويغزو عامًا وقد كـان الجهـاد فرض كفاية لم يكن فرض عين!

وانظر إلى إمـام المحـدثين أحمد -رحمه الله- إمـام أهل السـنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل، ذكر ابن قدامه في المغـني قصة عجيبة عن الإمـام أحمد في فضل الجهاد وعن حاله مع الجهاد، قال: "ذُكر الجهاد والغزو في مجلس الإمـــام أحمد..." فثبَّط عنـــه؟ لا، فخـــذَّل عنـــه؟ لا، فطعن في المجاهدين؟ لا، فماذا فعل؟

قال: "ذكر الغزو في مجلس الإمام أحمد فبكى".

هكذا هم العلماء الربانيون إن لم يجاهـدوا ويخرجـوا في الغـزوات يبكـون لتخلفهم وجلوسـهم عن الغـزوات، وإن لم يكونـوا مع المجاهـدين، أما أن يطعنوا في المجاهدين! فلا وألف لا!

"ذكر الغزو في مجلس الإمام أحمد فبكى"!! هذا هو حال أئمة أهل السنة مع الجهـاد، لا يخــذلون النــاس عن الجهــاد ولا يطعنــون في الجهــاد ولا يتكلمــون في المجاهــدين، بل ينصــحون ويمــدحون ويقــدمون النصح والنصيحة للمجاهدين.

ثم قال بعد أن بكى: "ما من أعمال البر شيء أفضل منه"

وقال: "ليس يعدل لقاء العدو شيء، ومباشرة القتـال بـالنفس هي أفضل الأعمال"

وانظر ماذا يقول: "والذين يقاتلون العدو هم الـذين يـدفعون عن الإسـلام وحريمه -عن الأعراض- فأي عمل أفضل منه؟"

هؤلاء الذين يدافعون عن الأعراض ويدافعون عن الدين، هـؤلاء هم الـذين يدفعون عن الإسلام وعن حريمه فهم أفضل الناس.

فهـذا هو حـال العلمـاء الربـانيين مع الجهـاد إذا جلسـوا يكـون قـدوتهم وإمامهم الرسول -ﷺ-، فقد بيَّن أنه لولا أن يقع المشقة على المسلمين ما جلس خلف سـرية تغـزو في سـبيل اللـه، هـذا هو إمـام العلمـاء وإمـام المسلمين رسول الله تمنى ألا يجلس خلف سـرية تغـزو في سـبيل اللـه، فهذا هو حال العلماء.

فـالعلم والجهـاد لا يفترقـان أبـدًا، فمن فضل الله -عز وجل- أن منَّ علينا بهذا المجلس في هذه الساحة بين القرينين العظيمين، بين العلم والجهاد، وما كنا لنهتدي لهذا لولا أن هدانا الله، فلله الحمد والمنة.

وهذا الأمر -اقتران العلم والجهاد- كان مستقرًا عند العلماء ويرونه أمرًا لا يحتاج لكثير بيان وتفصـيل، ليس بحاجة لأن تعقد له النـدوات ولا الـدروس ولا المحاضرات ولا المجالس فهو أمر مستقر، فإذا نظرت في كتب الفقه تجدهم يذكرون الجهاد وحكم الجهاد وأنه في حالات يتعين ويصـبح الجهـاد فرض عين، واحد اثنين ثلاثة، ثم يسيرون ولا يطيلون، فلم يكونوا يتوقعون أن يوجد في أمة محمد -ﷺ- من العلماء من يجلس عن الجهاد!

لذلك انظر إلى كتب الفقه عنـدما يتكلمـون عن الجهـاد وعن حكم الجهـاد فـالأمر متفق عليه ومُجمَع عليـه، هو فـرض كفاية وفي حـالات يتعين ثم

يسيرون ولا يطيلون، فلم يكن في الحساب عنـدهم أن يوجد عـالم ربـاني في حال تعين الجهاد ويجلس عن الجهاد! هذا أمر غير مقبول غير متصـوَّر أصلًا في البال ولا يُتصور أن عالمًا ربانيًا علِم كتاب الله وعلِم سنة النبي -ﷺ- ثم يتخلف عن الغزو! فلم يذكروا هذا في كتبهم ولم يسطروه.

ابن القيم -رحمه الله- له عبـارة يعـني من أشد ما كتب في هـذا البـاب، لعلها رسـالة لكل جـالس عن الجهـاد المتعين اليـوم، يقـول -رحمه الله-: "فجهاد الـدفع يقصـده كل أحد ولا يـرغب عنه إلا الجبـان المـذموم شـرعًا وعقلًا". انتهى كلامه.

"يقصده كل أحد" عـالم وغـير عـالم، شـجاع وغـير شـجاع، كل أحد يقصد جهاد الدفع لا يتخلف عنه أحد، ما يجوز يتخلف عنه أحد.

الأئمة يشيرون إشارة؛ لأن الأمر ليس بحاجة لتفصيل عندهم!

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: "وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجب إجماعًا..."

محل إجماع كما قلنا يسيرون ما في مجـال للتفصـيل ما في مجـال لـذكر الأدلة، الأمر ليس بحاجه لتفصيل، الأمر مجمع عليه.

"فواجب إجماعًا" انتهى الموضوع

"فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والـدنيا لا شـيء أوجب بعد الإيمـان من دفعه فلا يشترط له شرط بل يُدفع بحسب الإمكان"

تكلم بسطر أو سطرين انتهى الموضوع! ما فصَّـل ولا أصَّـل كعـادة شـيخ الإســلام في تحرير المســائل؛ لأن المســألة ليست بحاجة إلى تفصــيل، وكذلك ابن القيم تكلم في سطر لأن الأمر ليس بحاجة لتفصيل.

حتى جاء هذا الزمان -نسأل الله فيه الهداية والسداد والثبـات على الحق- فحصل هذا الذي حصل من الانفصـال النكِد المـذموم في الشـرع والعقل بين العلم والجهاد، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وجلس فيه كثير من العلمـاء عن الجهاد إلا من رحم اللـه، فـانقلب الحـال من حـال عـزة إلى حـال ذل بخلاف الزمان الأول الذي لا تكاد -كما ذكرنا- تجد فيه عالم يترك الجهاد.

وهذا الواقع الممقوت المذموم في الشرع والعقل هو ما دفع الدكتور عبد الله عزام -تقبله الله في الشهداء وجمعنا به في جنة الفردوس- أن يؤلف كتابه (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان).

لم يكن هناك داعٍ للتأليف، حتى جاء الدكتور عبد الله عزام -تقبله الله في الشهداء-، وهو ممن أحيا الله -عز وجل- به فريضة الجهاد في هذا الزمان وأعلا به -بفضله تبارك وتعالى- راية الجهاد في هذا الزمان، فألف هذا الكتاب وذهب به إلى علماء الجزيرة وإلى غير علماء الجزيرة ليرى، وعرض الكتاب عليهم، فلم يخالفوه وأقروه؛ لأن الأمر قد بدأ في هذا الزمان.

والدكتور عبدالله عزام من أول من تكلم في هذا الموضوع، عن الانفصال النكد المذموم بين العلم والجهاد، وهذا الانفصال المذموم النكد هو ما دعى أيضًا أئمة الجهاد كالدكتور الظواهري والشيخ أسامة وأبي يحيى الليبي أن يطلبوا ويوجهوا النداءات والرسائل إلى العلماء أن يقوموا بدورهم وأن يهجروا هذا الانفصال النكد المذموم بين العلم والجهاد.

ونحن لا نريد أن نطيل حقيقة ولكن نريد أن نكرر، وأن نوصل الصوت إلى العلماء، إلى علماء الأمة خاصة، إلى العلماء الصادقين، إلى العلماء الذين يريدون ما عند الله أن يتداركوا ساحات الجهاد اليوم، فساحات الجهاد تشتكي إلى الله من قلة أهل العلم، وتشتكي إلى الله جلوس أهل العلم، وتشتكي هجران أهل العلم للجهاد، فالجهاد لم يعهد على العلماء الربانيين الهجر والجلوس، فالله الله يا علماء الأمة بالجهاد والمجاهدين، فهم اليوم بحاجة عظيمة لكم لا تستطيع العبارات والكلمات أن تصفها، بل تصفها لكم الأشلاء والدماء والدموع والأعراض التي يُعتدى عليها.

نكتفي بهذا الأمر، إخواني قبل أن نبدأ وإياكم أن نتدارس، سوف يكون الأمر كمدارسة لباب من أبواب الفقه، فما لا يدرك -كما قال العلماء في القواعد-: "ما لا يدرك كله لا يترك جله، والميسور لا يسقط بالمعسور" ولكن رغم ما تعلمون من كثرة المشاغل، ويصح أن تبدل الغين بالكاف "المشاكل"، نتدارس وإياكم بابًا من أبواب الفقه -بإذن الله عز وجل- تختارونه الآن بعد أن ننهي الحديث -بإذن الله عز وجل-، لعل الله -عز وجل- أن ينفع بنا أنفسنا أولًا ثم ننفع غيرنا من المسلمين -بإذن الله-.

بعد هـذا التمهيد ننتقل معكم إلى ثلاثة أمـور، أريد أن أذكر نفسي وإيـاكم بها قبل أن نبدأ الدروس.

الأمر الأول: الإخلاص، فمن اتباع هدي السلف الصالح نسير، وعلى هديهم نسير؛ لأنهم كانوا يبدؤون الكتب والدروس بالتذكير بالإخلاص، فسيرًا على هديهم أبدأ بتذكير نفسي وإخـواني بـإخلاص النية لله -عز وجل- في عملنا هذا وفي كل عمل، فعلى الإخلاص والاتباع بعد تحقيق التوحيد مدار قبـول الأعمـال عند اللـه، مـدار قبـول الأعمـال عند الله بعد التوحيـد، الإخلاص والاتباع، كما قال الشيخ حافظ الحكمي في (المعارج):

شرط قبول السعي أن يجتمعا ** فيه إصابةٌ وإخلاصٌ معًا

لا بد من موافقة الشـرع، إصـابة العمل والصـواب أن يكـون على هـدي الشرع، ثم الإخلاص لله -تبارك تعالى-، وهذا ما دلت عليه نصوص الكتـاب والسنة، أذكر حديثين، ففي الصحيح حديث مشهور كان من هـدي السـلف أنهم يبدؤون به الكتب والـدروس، حـديث عمر الـذي يحفظه الجميـع، عن عمر -رضي الله عنه- قال: قال رسـول الله -ﷺ-: (إنما الأعمـال بالنيـات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسـوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امــرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه).

فمن كان طلبه للعلم للـدنيا فطلبه إلى ما طلب، فنُخلص الأمر للـه، فمن كان هذا الطلب وهذا الجلـوس وهـذا العلم لله فله الأجر والمثوبـة، "فمن كـانت هجرته إلى الله ورســوله فهجرته إلى الله ورســوله، ومن كـانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".

وفي حـديث أبي هريــرة عن رســول الله -ﷺ-ـ حـديث عظيم، حقيقة هو بحاجة إلى دروس، وكان لهذا الحديث وقع عظيم عند السلف كما سـنذكر الآن، هــذا الحــديث له أثر عظيم في النفــوس، وهو له تعلق بالســاحات الجهادية، وله تعلق بالإخلاص؛ ولذلك أذكره -بإذن الله عز وجل-.

فعن أبي هريـرة -رضي الله عنه- قـال: قـال -ﷺ-: (إن أول النـاس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فـأتي به فعَرَّفه نعمه فعرفهـا، قـال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت

لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسـحب على وجهه حـتى ألقي في النــار، ورجل تعلم العلم، وعلَّمــه، وقــرأ القــرآن، فــأتي به فعَرَّفه نعمه فعرفها، قـال: فما عملت فيهـا؟ قـال: تعلمت العلم، وعلمته وقـرأت فيك القرآن، قـال: كـذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقـال: عـالم، وقـرأت القـرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيـل، ثم أمر به فسـحب على وجهه حـتى ألقي في النـار، ورجل وسع الله عليـه، وأعطـاه من أصـناف المـال كلـه، فـأتي به فعرفه نعمه فعرفهـا، قـال: فما عملت فيهـا؟ قـال: ما تـركت من سـبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قـال: كـذبت، ولكنك فعلت ليقـال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار).

أول الناس! عجيب!! الشهيد قدم نفسه ووقته لله، فيقضى عليه؟!

ولذلك كان بعض السلف يبكي عنـدما يحـدث بهـذا الحـديث، الأمر عظيم، تقدم نفسك إلى الله وتذهب إلى النار؟! يوجد خلل، ما هو؟!

كان بعض السلف إذا حدث هذا الحديث يغمى عليه، حديث عجيب!

(فأتي به فعرَّفه نِعَمَهُ، فعَرَفها) ما أنعم الله على العبد يعترف به.

(قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت) هذه النعم التي أنعمتَ بها علي قابلتها بالشهادة، ضحيتُ في سبيلك يا الله!

(قال: كذبت!)

يوجد خلل! قُتل في سبيل الله، شهيد، صور، رايات، بنرات، حلوى، شهيد، الله يقول له: كذبت! لا إله إلا الله، أعوذ بالله من في الدنيا والآخرة.

(قال: لكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل) هذا ثوابك!!

أين سيذهب الآن؟ (فسُـحب على وجهه) في أرض المحشر! بين الخلائق! أول الناس! نعوذ بالله من هذا الحال.

(ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار)

هذا أول من يقضى عليه يوم القيامة، فيا إخــواني الإخلاص الاخلاص، النية النية.

لن ينفعك لا فلان ولا فلان، لن ينفعك من راءيت لأجلـــه، هل ينفعك فلان أو فلان الـــذي عملت من أجله لكي تنـــال منه المـــدح؟! لا واللـــه، إنما الأعمال بالنية، فـإن كـان هـذا الجهـاد لله فقد أفلحت وأنجحت، فأخلصـوا النية لله -عز وجل- في الجهاد والعمل، هذا الصنف الأول.

هـذا الحـديث جمع لنا بين الجهـاد والعلم أيضًـا، قـال: (ورجل تعلم العلم وعلمه وقـرأ القـرآن -جلس في مجـالس العلمـاء- فـأتي به فعرفه نعمـهُ فعرفهـا، قـال: فما عملت فيهـا، قـال تعلمت العلم وعلمته -طلبت العلم وعلمت العلم- وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت).

يا أخي والله العظيم أنت تخـاطب اللـه، هنا الإنسـان يخـاطب الله الـذي يعلم السر وأخفى، لا مجال مع الله للكذب أو الخفاء، لا مجـال، أنت تكلم الله، أعِد لهذا السؤال جوابًـا، (أنعمت عليك فمـاذا فعلت؟) فليكن جـواب الله: صـدقت ولا يكن جـواب الله لك: كـذبت، لا إله إلا اللـه، والله موقف عصيب بعد هـذه الأيـام وهـذه المصـاعب وهـذه المشـاكل يقـال للإنسـان كذبت! نسأل الله السلامة.

(قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عـالم) يقـال طـالب علم وقـرأت القـرآن ليقـال هو قـارئ متقن إمـام متقن صـوته جميـل، فقد قيـل، هـذا ثوابك، ألم تقاتل في الدنيا حـتى يقـال؟ قد قيـل، انتهى، هـذا ثـواب، الآن يأتي العقاب، (ثم أُمر به فسحب على وجهه حـتى ألقي في النـار) شـهيد، عالم، أخلُّوا بالإخلاص.

(ورجل وسع الله عليه، وأعطـاه من أصـناف المـال كلـه، فـأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قـال: فما عملت فيهـا؟ قـال: ما تـركت من سـبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقـال: هو جـواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار).

صدقًا إخواني، اقرؤوا في شروح هذا الحديث، هذا حـديث عظيم، السـلف منهم من كان يغمى عند هذا الحديث، ومنهم من يحدث بهـذا الحـديث ولا يستطيع أن يتمه من البكاء، أمر عظيم، فنسأل الله -تبارك وتعـالى- فقط أن يتقبل وأن يجعل جهادنا وعملنا خالصًـا لوجهــه، فهو ولي ذلك والقـادر عليه.

الأمر الثــاني: أريد أن أذكر نفسي وإخــواني، بفضل العلم، ولن أطيل في الحـديث عن فضل العلم، فالكل منكم يعلم فضل العلم ولـذلك أتيتم هنـا، وأكيد تكلم الإخــوة في هــذه الــدورة وفي الــدورات الســابقة عن فضل العلم، ولكن لا بــأس أن نقــرأ طرفًا يســيرًا من فضــائله؛ لنحفز النفس لتنشط في طلبه فالآيات والأحاديث النبوية الدالة على فضله كثـيرة جـدًا، منها قوله -تبـارك وتعـالى-: {شَـهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ وَالْمَلَائِكَـةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

ربنا -تبارك وتعالى- أشـهَد أهل العلم على أعظم قضـية، والـتي من أجلها خلق الســـــماوات والأرض، وخلق الجن والإنس؛ لأجل قضـــــية التوحيد ، فأشهَد العلماء على توحيـده لعظمة مـنزلتهم وعلو شـأنهم ومكـانتهم عند اللـه، فـالأمر العظيم لا يشـهد عليه إلا العظمـاء، أنت تريد أن تُشـهد على أمر عظيم، تـأتي بإنسـان وضـيع ليشـهد؟ أم تـأتي بإنسـان شـريف كـريم فاضل ليشهد؟

فالله أشهد على توحيده، شـهد بنفسه وأشـهد أكـرم خلقه -الملائكة وأهل العلم-، فهــــذه الآية من أعظم النصــــوص على فضل أهل العلم، أن الله أشهدهم على توحيـده؛ لأنهم عظمـاء أشـهدهم على الأمر العظيم، وقـرن شهادتهم مع شهادته.

وقال الله -عز وجل- في فضل العلم: {وَقُـلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} فالله يـأمر نبيه أن يسأله الزيادة من أمر فاضـل، هل هنـاك نص في الكتـاب والسـنة يأمر الله -عز وجل- النـبي أن يطلب شـيئًا من حطـام الـدنيا؟! إنما أمـره الزيــــادة من العلم؛ لفضل العلم {وَقُــــلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} لأن العلم هو الطريق الموصل إلى خشية الله وإلى تطبيق شرع الله.

الله -تعالى- قال: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} فأهل الخشـية هم أهل العلم، اقـترن العلم بـالتقوى، فهـذه الآية أيضًـا في فضل العلم، الله أمر نبيه بطلب الزيادة من العلم؛ لأن العلم طريق من طـرق الخـير الـتي تؤدي إلى خشية الله -تبارك تعالى- مع التقوى.

وفي السنة أحاديث كثيرة، منها الحديث الذي يحفظه أكثركم، وهو حـديث معاوية، وكان معاوية مع قلة تحديثه عن النبي -ﷺ- كان يحـدث به في كل

جمعة، وأصل الحديث في الصحيح، قال -ﷺ-: (من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين).

بمفهوم المخالفة "من لم يرد الله به خيرًا لا يفقهه في الدين"

فالله قد أراد بنا خيرًا إذْ أتى بنا لهـذا المجلس، فـأهلًا بهـذا الخـير العظيم من الله -تبارك وتعالى-.

وقد قال -عليه الصلاة والسلام-: (من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة)

(إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًى بما يصنع)

(إن العالم ليستغفر له من في السـماوات ومن في الأرض، والحيتـان في جوف الماء)

(إن فضل العـــالم على العابد كفضل القمر في ليلة البـــدر على ســـائر الكواكب)

(إن العلمـاء ورثة الأنبيـاء، وأن الأنبيـاء لم يورثـوا درهمًا ولا دينـارًا، ورثـوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر)

فالعلم من أعظم ما يشتغل به العبد.

الأمر الثالث هو: طلب العلم للعمل، ولا بد أن ننتبه إلى أن الدعوة وتعليم الناس العلم هو من العمل.

الـــدعوة وتعليم النـــاس جـــزء من العمـــل، بعد العمل جـــزءٌ منه الـــدعوة والتعليم، لا تظن أنك تتعلم ولا تدعو! لا، ولا تُعلم! لا.

طلب العلم للعمل، وقد صنف العلماء كتبًا في هـذه المسـألة، فمن طلب العلم لأجل العلم لن ينال إلا الحسرة والندامة.

فعن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: "من طلب العلم ليماري به السـفهاء أو ليباهي به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار".

فالحذر الحـذر، فنطلب العلم لأجل أن نعمل بـه، لا نريد أن نصـبح كجهـاز الحاسـوب تخـزن معلومـات ولا يسـتفاد منك! لا، نريد أن نسـتفيد

ونفيد -بإذن الله عز وجل-؛ لأن الله قال كما ذكرنا: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} فالعلم الذي يورث الخشية هو العلم الممدوح عند الله، المحبوب لله، العلم الذي لا يورث الخشية مذموم، كيف تكون الخشية؟ بالعمل، لا تكون خشية بلا عمل، فنحن نريد العلم الذي يورث العمل والذي يورث الخشية، وقد قال الله -عز وجل-: {فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} الأجر لمن؟ ما قال فنعم أجر التالين، نعم، التالين لهم أجر، ولكن قال: {فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} الذي يعلم ويعمل، هذا له الأجر.

وفي مواضع كثيرة {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} النون مع الفاء إخفاء، صح؟ ويخفي ماله في جيبه ولا ينفقه في سبيل الله!

هذا عمِل بقوله -تعالى-: {وَأَنْفِقُوا}؟ علم أن هنا إخفاء وعمل بعكس الذي علِم؟ هذا العلم ينفعه وهو يرى حاجة المسلمين الآن إلى المال ويرى حاجة المجاهدين للمال؟ كان ما شاء الله قارئ في القراءات العشر يطبق الإخفاء الممدوح والمذموم، يخفي تطبيق العلم فيأتي بالإخفاء في التجويد! ولكن قال: {فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} لا بد مع العلم من العمل.

وهذا في الصحيح، قال رسول الله -ﷺ-: (يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به...)

أما الذي يقرأ القرآن ولا يعمل...! الوضع ليس بالأمر السهل الهين، أمر عظيم خاصة في هذا الزمان، الواجبات كبيرة والمشاغل عظيمة والمشاكل كبيرة والوقوف بين يدي الله عسير والحساب عسير وتكالب الأعداء الآن كبير، نسأل الله الهداية، نسأل الله العمل بعد العلم.

قال: (يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان)

وهذا ما قاله الله -عز وجل- في سورة العصر: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} علم، إيمان، وعمل وبعد العمل، دعوة، وتواصل.

هذه الآية كما قيل: "لو نـزلت هي من القـرآن لكفت" علم وعمل ودعـوة هذا الدين باختصار، أما علم بلا عمل فهذا دين ناقص وهو حجة عليك.

لذلك إخواني، الذي يعلم الآن أن الجهاد من فروض الأعيان إذا هجم العدو على ديار الإسلام ولا يجاهد هذا العلم حجة له أم عليه؟ هـذا القـرآن حجة له أم عليه؟ ما الدليل؟ الدليل في صحيح مسلم في الحديث الطويل قال فيه -ﷺ-: (والقرآن حجة لك أو عليك) هذا كلام النبي.

لا تظن بقراءتك للقـرآن وبتعلمك للقـرآن تنجو! بل القـرآن سـوف يـأتي حجة عليك، كيف يكون القرآن حجة لك؟ إذا عملت به ودعوت إليـه، دائمًا تذكَّر هذا النص النبوي (والقرآن حجة لك أو عليك)

والله موقف صعب إذا أتى القرآن يوم القيامة حجة عليك!

وجزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم.